والعلم وعلى سمعهم اى وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها مجته وتنبوا
عن الاصغا اليه كانها متوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه
مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى ابصارهم غشاوة هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا ومنه غاشية السرج اى
وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطا التعامي عن ايات الله ودلايل توحيده ولهم عذاب عظيم
يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدايم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان
ويمنعه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الما العذب لانه
يمنع العطش والاليم والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله
ابن ابي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف
بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به
لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر ° وسميت انسانا لانك ناسي ° وقيل سمي انسانا لانه يستانس
بمثله وباليوم الاخر اى وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو
اخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر قال الله تعالى ردا على المنافقين وما هم
بمومنين نفى عنهم الايمان بالكلية يخادعون الله والذين امنوا اى يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله
في الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اى يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله
لهم بخلاف ما يغيب لهم من عذاب الاخرة **فان قلت** المخادعة مفاعلة وانما تجي
في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة **قلت** المفاعلة قد ترد على وجه
المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد
والله تعالى ان يكون منه خادع **فان قلت** كيف يخادع الله والله يعلم الضماير
والاسرار ومخادعة الله ممتنعة فكيف بنا يخادعون الله **قلت** ان الله تعالى ذكر
نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به المنافقين
اذا خادعوا المومنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
لم يعلموا حالهم ولتجر عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهم في خلافه في الباطن وما يخادعون الا انفسهم اى
ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل
ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون
في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشي وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوام
البدن وما يشعرون اى لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم في قلوبهم مرض اى شك ونفاق واصل
المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه
يضعف الدين كالمرض يضعف البدن فزادهم الله مرضا يعني ان الايات كانت تنزل تترى اية بعد اية
فكلما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا ولهم عذاب اليم اى مولم يخلص وجعه الى قلوبهم بما
كانوا يكذبون اى بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اى بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير
مومنين واذا قيل لهم يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المومنون لا تفسدوا في الارض اى
بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران قالوا انما نحن مصلحون يعني يقولون انه

كذبا

كذبا الا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب انهم هم المفسدون يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد ولكن لا يشعرون
وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطال الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد
الله لهم من العذاب واذا قيل لهم يعني المنافقين وقيل اليهود امنوا كما امن الناس يعني المهاجرين والانصار
وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مومني اهل الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هولاء في ايمانهم
لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان قالوا انومن كما امن السفها اى الجهال **فان قلت**
كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انومن كما امن السفها **قلت** كانوا يظهرون هذا القول
فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله
الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا يعني هولاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار
قالوا امنا كايمانكم واذا خلوا اى رجعوا وقيل هو من الخلوة الى بمعنى الباء شياطينهم وقيل بمعنى مع شياطينهم
والمراد بشياطينهم رؤساهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة
وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السود بالشام ولا
يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل رؤسا وهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم
قالوا انا معكم اى على دينكم انما نحن مستهزون اى بمحمد واصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنامن من
شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله
ابن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هولاء السفها عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر
الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني
عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافق
شر خليقة الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني لا اقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا
كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا الله
يستهزئ بهم اى يجازيهم جزا استهزايهم بالمومنين فسمي الجزا باسمه لانه في مقابلته قال ابن
عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ويمدهم اى يتركهم
ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير في
طغيانهم اى في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اى يترددون في الضلالة متحيرون
اولئك يعني المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا الكفر بالايمان انما اخرجه
بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرا فيه بذل واخذ اخر **فان قلت**
كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى **قلت** جعلوا لتمكنهم منه كانه
في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه به والضلالة الجور عن القصد وفقد
الاهتدا فما ربحت تجارتهم اى ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن راس المال واضاف الربح الى التجارة
لان الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين اى مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)